النبوة لأن الذي عليه أكثر أهل الأصول اشتراط اقتران المعجزة
بالتحدي فمن دون ذلك فهذا من باب الإرهاص لا المعجزة ونظائر ذلك
كثيرة قيل وهذا الشق هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك
تنبيه أو ثبت شق صدره الشريف مرة أخرى عند مجيء جبريل
عليه الصلاة والسلام له بالوحي وهو صلى الله عليه وسلم بغار
حراء كما يأتي وممن رواه الطيالسي والحارث في مسنديهما
وكذا أبو نعيم ولفظه أن جبريل وميكائيل شقا صدره صلى الله
عليه وسلم وغسلاه ثم قال له اقرأ باسم ربك الذي خلق الآيات
والحكمة فيه كمال التصفية والتقوي على ما يلقى إليه من القول
الثقيل بقلب قوي في أكمل أحوال التطهير وثبت مرة أخرى تواترت تواردت
بها الروايات خلافا لمن أنكرها ليلة الإسراء ففي البخاري وغيره
أنه صلى الله عليه وسلم شق قلبه فيها وهو في المسجد قبل أن يخرج
به إلى ركوبه البراق فشق من ثغرة نحره إلى نحو عانته فاستخرج
قلبه ثم غسل في طست من ذهب أي لأن تحريم الذهب إنما كان
بعد على أن الغالب في أحوال تلك الليلة أنه من أحوال الغيب فيلحق
بأحكام الآخرة مملوء حكمة وإيمانا ثم حشي أي وتجسيم المعاني
جائز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم أعيد وحكمة هذا
الشق التهيؤ إلى الرقي إلى الملأ الأعلى والتقوي على استجلاء ما
شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى صلى الله عليه وسلم

لم

لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق وإخراج القلب وغيرهما
يجب الإيمان به وإن كان خارقا للعادة ولا يجوز تأويله لصلاحية
القدرة له ومن زعم ذلك وقع في هوة المعتزلة المكفرين عند كثير
من العلماء في تأويلهم نصوص سؤال الملائكة وعذاب القبر ووزن
الأعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله عقولا ومن تبعهم
وقد رمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فكانت عليه
بردا وسلاما وهذا الشق أبلغ في الصبر والكرامة مما وقع لإسماعيل
عليه الصلاة والسلام فإنه مقدمات ذبح لا حقيقته كما هو
رأي أهل السنة وبتقديره الذي ذهب إليه أكثر المعتزلة أنه
أضجعه وأمر السكين على حلقه فلم تقطع شيئا وبتقديره فذلك
مقام واحد وهذه مقامات عديدة شق الصدر ثم إخراج القلب ثم
شقه ووقع له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الأول نوع مشقة
لرواية فأقبل وهو منتقع اللون أي صار كلون النقع أي الغبار وهو
شبيه بألوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه
أنه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة أنه بعيد ما
فطم مع انفراده عن أمه وبعده من أبيه واختطافه من بين الأطفال
ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المآل ومن ثم لما شج وجرح وكسرت
رباعيته يوم أحد قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي
رواية أنه غسل ليلة الإسراء بماء زمزم أي لأنه يقوي القلب ويسكن